

مجاز القرآن

(33) ويفارق دينه لها ، تشبيهاً بالقائم على حرف مهواة ، فأدنى عارض يزلقه ،
وأضعف دافع يطرحه " (1) . ج - وفي قوله تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
(2) ، تبرز استقلالية الشريف الرضي في الرأي ، وشخصيته في النقد ، واعتداده بصميم
بلاغة العرب فيقول : " وهذه استعارة لأن تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ، ولا يصح
حمل ذلك على حقيقته في الإيمان ، فلا بد إذن من حمله على المجاز والاتساع . فيكون المعنى
أنهم استقروا في الإيمان كاستقرارهم في الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ، ولباب الفصاحة ،
وقد زاد اللفظ المستعار هنا معنى الكلام رونقا . إلا ترى كم بين قولنا : استقروا في
الإيمان ، وبين قولنا : تبوءوا . وأنا أقول أبداً : إن الألفاظ خدم للمعاني ، لأنها تعمل في
تحسين معارضها ، وتنميق مطالعها " (3) . وحديثنا عن " تلخيص البيان " قد يطول لو
استرسلنا فيه ، وفيما قدمناه من نماذج غناء في إقرار منهج هذه الدراسة القائمة على
سبيل الإشارة والتلميح العابر لجهود المؤصلين . والأمر المنظور لدى الشريف الرضي في
تلخيص البيان يتجلى في عدة حقائق نشير إليها : 1 - استقلالية في المنهج والفكر ،
وأولويته في أولية هذا المنهج البلاغي كتاباً مستقلاً ، وكياناً قائماً في مجاز القرآن . 2 -
تورعه في ذات الـ في الجزم في المعنى القرآني ، إذ طالما نجده يبدأ تعقيباً على الآية
بعبارة : وإنا أعلم . 3 - هذه العبارة المشرقة ، وهذا الأسلوب الحديث ، وذلك التدافع في
الألفاظ ، وكأنك تقرأ فيه بلاغي اليوم لا بلاغي القرن الرابع الهجري . _____ (1)
الشريف الرضي ، تلخيص البيان : 237 . (2) الحشر : 9 . (3) الشريف الرضي ، تلخيص البيان
: 330 .